﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾ [القصص: 30]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبلَها:

ذكـرُ مـا حصلَ بعدَ إتيانِ موسى عليه السلام النّـــارَ، ومناجاة العزيز الجبّار

بعدَما أخبرَ ﷻ عن رؤيةِ موسى عليه السلام النّارَ، ورجائِهِ أنْ يحصلَ منها على خبرٍ أو جَذْوةٍ - أخبرَ عمّا حصلَ بعدَ إتيانِهِ إيّاها، ونودي من جانب الوادي، فوقف موسى باهتًا متحيّرًا في الأمر، فأوحى الله إليه أنّه هو الله ربّ العالمين، وأنّه خصّه بالتّكليم، دون سائر المرسلين.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نُودِيَ﴾: (ندي) يَدُلُّ عَلَى تَجَمُّعٍ[1]. النِّداءُ: رفعُ الصَّوتِ وظُهورُهُ بطلبِ الإقبالِ، ويُطلَقُ كثيرًا على الكلامِ الَّذي فيهِ طلبُ إقبالِ الذّاتِ لعملٍ، أو إقبالِ الذِّهنِ لوَعْيِ كلامٍ، ولذلكَ سُمّيَتِ الحروفُ الَّتي يُفتتَحُ بها طلبُ الإقبالِ حروفَ النِّداءِ. ويُطلَقُ على الدُّعاءِ بطلبِ حاجةٍ وإنْ لم يكنْ فيهِ نداءٌ، وقد يقالُ النِّداءُ للصَّوتِ المُجرَّدِ، وهو المقصودُ بقولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة: 171]، أي: لا يَعرِفُ إلَّا الصَّوتَ المُجرَّدَ، دونَ المعنى الَّذي يقتضيهِ تركيبُ الكلامِ. وقد يقالُ للمُركَّبِ الَّذي يُفهَمُ منهُ المعنى، كقولِهِ جلَّ وعزَّ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الشّعراء: 10]، وقولِهِ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مريم: 3][2]. وأصلُ النِّداءِ مِنَ النَّدى، أي: الرُّطوبةِ، يقالُ: صوتٌ نَديٌّ رَفيعٌ، واستعارةُ النِّداءِ للصَّوتِ مِنْ حيثُ إنَّ مَنْ كَثُرَ رُطوبةُ فَمِهِ حَسُنَ كلامُهُ، ولهذا يوصَفُ الفصيحُ بكثرةِ الرّيقِ[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ندي).
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: (ندي).
(3) السّمين، عمدة الحفّاظ: (ندي).

2) ﴿شَٰطِيِٕ﴾: (شطأ) أصلٌ يدلُّ على الجانبِ، ومِنْ ذلكَ: شاطئُ الوادي، وهو جانبُهُ[1]، ويقال: شاطىء النّهر: طرفه، وشاطىء البحر: ساحله، وفي الصّحاح: شاطىء الوادي: شطّه وجانبه، وتقول: شاطىء الأودية، ولا يجمع، كذا قاله بعضهم، والصّحيح أنَّ جَمْعَهُ: شَواطِئُ سماعًا وقياسًا[2]، ويقالُ: شاطأتُ فلانًا، أي: ماشيتُهُ في شاطئِ الوادي[3]، وشاطئُ البحرِ: ساحلُهُ[4]. والمرادُ بقولِهِ تعالى في هذهِ الآيةِ: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾، من عُدْوَتِه وجانِبِه الأيمن، أي مِن على يمين موسى[5]، وهو الشّاطئ الغربيّ من طور سيناء[6].

3) ﴿ٱلْوَادِ﴾: (ودي) الوادي: اسمُ فاعلٍ مِنْ ودَى يَدي ودْيًا، أي: سالَ، فهو وادٍ، ثمَّ أُطلِقَ على المكانِ الَّذي يجتمعُ فيهِ الماءُ ويسيلُ[7]، ومنهُ سُمّيَ ما بينَ الجبلينِ واديًا، وجمعُهُ: أوديةٌ، نحوُ: نادٍ وأندية[8]، والوادي: كلّ منفرج بين جبال وآكام، يكون منفذًا للسّيل فهو الوادي[9]، وقد يجمع الوادي على وديان، بالضّمّ؛ وتصغير الوادي وديّ.. ويستعمل الوادي بمعنى الأرض، ومنه قولهم: (لا تضلّ بوادي غيرك)، نقله الزّمخشري في الكشاف[10]. والمرادُ في هذهِ الآيةِ: أنّ موسى قصد النّار الّتي أبصرها عن بُعْد، فنودي من جانب الوادي، ممّا يلي جبل الطّور عن يمينه، من ناحية الغرب[11].

4) ﴿ٱلْبُقْعَةِ﴾: (بقع) أصلٌ يدلُّ على مخالفةِ الألوانِ بعضِها بعضًا[12]، ومِنْ ذلكَ: الغُرابُ الأبقعُ، وهو الأسودُ الَّذي في صَدْرِهِ بياضٌ، والبُقْعَةُ: قِطْعَةٌ مِنَ الأرضِ على غيرِ هيئةِ الَّتي إلى جنبِها[13]، والأبقعُ مِنَ الخيلِ: الَّذي يكونُ في جسدِهِ بُقَعٌ مُتفرِّقةٌ مخالفةٌ للونِهِ، والبَقْعاءُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شطأ).
(2) الزَّبيديّ، تاج العروس من جواهر القاموس: (شطأ).
(3) الرّاغب، المفردات: (شطأ).
(4) السّمين، عمدة الحفّاظ: (شطأ).
(5) مكّي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية: (شطأ).
(6) ينظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 10/ 342.
(7) السّمين، عمدة الحفّاظ: (ودي).
(8) الرّاغب، المفردات: (ودي).
(9) الكفويّ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: (الوادي).
(10) الزَّبيديّ، تاج العروس من جواهر القاموس: (ودي).
(11) أسعد حومد، أيسر التّفاسير، ص: 3164.
(12) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بقع).
(13) الخليل، العين: (بقع).

مِنَ الأَرَضينَ: الَّتي يُصيبُ بعضَها المطرُ، ولا يُصيبُ بعضَها الآخرَ[1].

5) ﴿ٱلۡمُبَٰرَكَةِ﴾: (برك) أصلٌ يدلُّ على ثباتِ الشَّيءِ[2]، يقالُ: بَرَكَ البعيرُ، أي: ألقَى بَرْكَهُ، واعتُبِرَ منهُ معنى اللُّزوم، فقيلَ: ابتركوا في الحربِ، أي: ثبتوا ولازموا موضعَ الحربِ، ومنهُ: بِرْكةُ الماءِ؛ لثبوتِ الماءِ فيها، والبَرَكةُ: ثبوتُ الخيرِ الإلهيِّ في الشَّيءِ، قالَ ﷻ: ﴿لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: 96]، وسُمّيَ بذلكَ لثبوتِ الخيرِ فيهِ ثبوتَ الماءِ في البِرْكةِ، والمُبارَكُ: ما فيهِ ذلكَ الخيرُ[3].

6) ﴿ٱلشَّجَرَةِ﴾: (شجر) أصلانِ متداخلانِ، يَقْرُبُ بعضُهما مِنْ بعضٍ، ولا يخلو معناهما مِنْ تداخلِ الشَّيءِ بعضِهِ في بعضٍ، ومِنْ عُلوٍّ في شيءٍ وارتفاعٍ[4]، فالشَّجَرُ مِنَ النَّباتِ: ما لَهُ ساقٌ[5]، وهو لا يخلو مِن ارتفاعٍ وتداخلِ أغصانٍ، ويقالُ: شَجَرَ بينَ القومِ الأمرُ، إذا اختلفَ، أو اختلفوا وتشاجروا فيهِ، وسُمّيَتِ المُشاجَرةُ بذلكَ؛ لتداخلِ كلامِهم بعضِهِ في بعضٍ، ويقالُ: اشتجَروا، أي: تنازعوا[6]، والشّجرة ما كان على ساق، من نبات الأرض، وأرض شَجيرة وشجراء، بوزن صحراء، أي كثيرة الأشجار، ووادٍ شَجيرٌ، ولا يقال: وادٍ أَشْجَرُ[7]، وذكروا أنّ الشّجرة المذكورة في الآية من شجر العوسج[8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

فلمّا أتَى موسى ﷺ النّارَ الَّتي أبصرَها مِنْ جانبِ الطّورِ – ناداهُ

تشريفُ اللهِ سبحانَهُ موسى ﷺ بالنِّداءِ الإلهيّ، والكلامِ العلويّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بقع).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (برك).
(3) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (برك).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شجر).
(5) الجوهري، الصّحاح: (شجر).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شجر).
(7) الرّازيّ، مختار الصّحاح: (شجر).
(8) ونقل السّيوطيّ "عن عبد الله بن مَسْعُود ﷺ، قالَ: ذكرت لي الشَّجَرَة الَّتِي أَوَى إِلَيْها مُوسَى ﷺ فسرت إِلَيْها يومي وليلتي، حَتَّى صبّحتها، فَإِذا هِيَ سَمُرَة خضراء ترفّ، فَصليّت على النَّبِي ﷺ، فأهوى إِلَيْها بَعِيري، وَهُوَ جائِع فَأخذ مِنْها ملْء فِيهِ، فلاكه فَلم يسْتَطع أَن يسغه فلفظه فَصليت على النَّبِي وسلمت ثمَّ انصرفت". ينظر: جلال الدّين السّيوطيّ، الدّرّ المنثور: 6/ 412.

ربُّهُ سبحانَهُ مِنْ جانبِ الوادي الأيمنِ في البُقْعةِ المباركةِ مِنْ ناحيةِ الشَّجرةِ: يا موسى إنّي أنا اللّهُ ربُّكَ وربُّ العالمينَ جميعًا[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الفاءِ في قولِهِ: ﴿فَلَمَّآ﴾:

دلالة المحذوف والمذكور على غرض المشهد المسوق

الفاءُ في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ فصيحةٌ تُفْصِحُ عن محذوفٍ مُقدَّرٍ، أي: فصلَ موسى عن أهلِهِ وأتاها[2]، وفي ذلك ملمح للمرحلة الجديدة، الّتي بدأت معها الأحداث، تتحرّك في مماشاة رائعة للواقع، في سيرورة متّئدة، لتسير فيها المشاهد إلى غايتها، فيسير موسى عليه السلام، عائدًا إلى مصر، ويأنس إلى نار على جبل الطّور، حيث يتلقّى وحي اللّه مشافهة، وهو ما عبّر عنه اللّه تعالى بقوله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: 144].

دلالة إعراب قولِهِ: ﴿فَلَمَّآ﴾:

تلميح إلى أنّ السّياق، ذو اتّصال بالظّرفيّة الزّمانيّة

﴿فَلَمَّآ﴾ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ﴾، ظرفٌ بمعنى (حينَ)، مُتضمِّنٌ معنى الشَّرطِ، مُتعلِّقٌ بالجوابِ ﴿نُودِيَ﴾، وقد أشار السّياق إلى أنّ المناداة الّتي سمعها موسى، من شاطئ الوادي الأيمن، في البقعة المباركة، كانت في حين وجوده هناك، وتلك لحظة فارقة في تمثّلات المشهد، تصوّر لنا تلاحق الأحداث، ذات الأهميّة والحساسيّة البالغة.

دلالةُ الماضي: ﴿أَتَىٰهَا نُودِيَ﴾:

الدّلالة على تحقّق الإتيان، ووقوع النّداء

عبَّرَ البيان بصيغةِ الماضي، في قولِهِ ﷻ: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ الإتيانِ والنِّداءِ ووقوعِهما، كما هو شأنُ الأفعالِ الَّتي تَرِدُ في سياقِ حكايةِ القصصِ والأخبارِ.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 572، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 20/ 54.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 507.

مرجعُ الضَّميرِ في قولِهِ: ﴿أَتَىٰهَا﴾:

ضميرُ المفعولِ في قولِهِ ﷻ: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ﴾، راجعٌ إلى النّارِ، أي: فلمّا أتَى موسى عليه السلام النّارَ الَّتي آنسَها[1]، وقد كان مأتاه إلى النّار، تنفيذًا لقوله وهو يخبر أهله بوجهته، في قوله: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾

الضَّميرُ راجعٌ إلى النّارِ الّتي لمحها، فهَدَتْه إلى مراد الله منه

بلاغةُ المجازِ في قولِهِ: ﴿أَتَىٰهَا﴾:

في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ﴾ مجازٌ عقليٌّ، وذلكَ أنَّ أصلَ الكلامِ: فلمّا أتَى مكانًا قريبًا مِنَ النّارِ الَّتي أبصرَها، فهو مجازٌ في الإيقاعِ[2]، وإيقاعُ الإتيانِ على النّارِ، من بليغ البيان في الاعتبار.

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغةِ ﴿نُودِيَ﴾:

لمّا كانَ آخرُ الكلامِ دالًّا دلالةً واضحةً على أنَّ المُنادي هو اللهُ ﷻ – بُنيَ للمفعولِ قولُهُ تعالى: ﴿نُودِيَ﴾[3]، أي: مِنْ قِبَلِ اللهِ تعالى، وفي ذلكَ تفخيمٌ لشأنِ الفاعلِ ببيانِ أنَّ هذا الفعلَ لا يتأتَّى إلّا منهُ، فلا يذهبُ الذِّهنُ إلى غيرِهِ.

التَّنبيهُ على كونِ الفاعلِ معروفًا، ولا يستطيع هذه المعجزة غيره

معنى (مِنْ) في الآية:

(مِنْ) الأولى والثّانيةُ في قولِ الباري جلَّ وعزَّ: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾، لابتداءِ الغايةِ، أي: أتاهُ النِّداءُ مِنْ شاطئِ الوادي مِنْ قِبَلِ الشَّجرةِ[4]. وقيلَ: يجوزُ أنْ تتعلَّقَ (مِنْ)، بمحذوفٍ وقعَ حالًا مِنْ ضميرِ موسى عليه السلام المستترُ في ﴿نُودِيَ﴾، أي: نوديَ قريبًا مِنْ شاطئِ الوادي. ويجوزُ على الحاليَّةِ

حرف الجرّ في الحالين، لابتداءِ الغايةِ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 282.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 507.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 278.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 408، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 301.

أنْ تكونَ (مِنْ) بمعنى (في)، كما في قولِهِ ﷻ: ﴿مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر: 40]، أي: نوديَ كائنًا في شاطئِ الوادي[1].

نكتة الإضافةِ في: ﴿شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ﴾:

الإضافةُ بمعنى اللّامِ، مفيدة في سياق الكلام

إضافةُ ﴿شَٰطِيِٕ﴾ إلى ﴿ٱلۡوَادِ﴾ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ بمعنى اللّام، أي: نوديَ مِنْ شاطئٍ للوادي، وهي تفيدُ التَّخصيصَ؛ لأنَّ لفظَ ﴿شَٰطِيِٕ﴾ عامٌّ، وتخصيصُهُ بالإضافةِ.

دلالة إعراب لفظ ﴿ٱلۡأَيۡمَنِ﴾:

(الأيْمَنِ) صفةٌ، مبينة عن الدّلالة، باليمن والتّيامن

قيلَ: يحتملُ ﴿ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ أنْ يكونَ مِنَ اليُمْنِ، صفةً للوادي أو للشّاطئِ[2]. ويحتملُ أنْ يكونَ المُعادِلَ لليسارِ، فلا يوصَفُ به الشّاطئُ إلّا بالإضافةِ إلى موسى ﷺ[3]، أي: وجاءَ النِّداءُ عن يمينِ موسى في مَسيرِهِ[4]، أو بعكسِ ذلكَ[5]. وقيلَ: إنْ حُمِلَ الأيمنُ على أنَّهُ ضدُّ الأيسرِ، فالشّاطئُ أيمنُ، باعتبارِ أنَّهُ واقعٌ على يمينِ المُستقبِلِ القِبْلَةَ، على طريقةِ العربِ مِنْ جعلِ القِبْلَةِ هي الجهةَ الأصليَّةَ لضبطِ الواقعِ، وهم ينعتونَ الجهاتِ باليمينِ واليسارِ، يريدونَ هذا المعنى، وعلى ذلكَ جرَى اصطلاحُ المسلمينَ في تحديدِ المواقعِ الجغرافيَّةِ، ومواقعِ الأرضينَ، فيكونُ الأيمنُ يعني الغربيَّ للجبلِ، أي: جهةَ مغربِ الشَّمسِ مِنَ الطّورِ.

وأمّا جعلُهُ بمعنى الأيمنِ لموسى ﷺ فلا يستقيمُ معَ قولِهِ: ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ [طه: 80]؛ فإنَّهُ لم يَجْرِ ذكرٌ لموسى ﷺ هناكَ.

وإنْ حُمِلَ على أنَّهُ تفضيلٌ مِنَ اليُمْنِ - وهو البركةُ - فهو

(1) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 72، والآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 282.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 287.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 287.
(4) مفاتيح الغيب: 24/ 593، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 282.
(5) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 301.

كوصفِهِ بالمُقدَّسِ، في قولِهِ: ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾ [النّازعات: 16][1].

معنى ﴿فِي﴾ في شبه الجملة ﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ﴾:

حرفُ الجرِّ ﴿فِي﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ للظَّرفيَّةِ المكانيَّة. والبقعة المباركة أي المطهّرة، لأنّ الله خصّها بأن كلّم موسى ﷺ فيها، والمكان يأخذ أهميّته وقداسته، من الفعل الّذي يحصل فيه، ولا أجلّ في أحداث البشريّة، من كلام الله تعالى لأخصّ عباده، في أشرف الأماكن، بما ينزله عليهم من هدايات ورشاد ومنهج.

الدّلالة على الظَّرفيَّةِ المكانيَّةِ، مفصحٌ عن البقعة المقصودة

دلالة إعرابِ قولِهِ: ﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ﴾:

يحتملُ ﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ﴾ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾، أنْ يكونَ مُتَّصلًا بالشّاطئِ[2] على أنَّهُ صفةٌ لهُ، أي: مِنْ شاطئِ الوادي الكائنِ في البُقْعةِ المباركةِ، أو على أنَّهُ حالٌ منهُ، أي: كائنًا في البُقْعةِ[3]. ويحتملُ أنْ يكونَ مُتعلِّقًا بـ ﴿نُودِيَ﴾[4].

احتمالُ الجارِّ والمجرورِ أوجهًا مِنَ الإعرابِ، مفيدٌ في الخطاب

سرُّ وصفِ ﴿ٱلْبُقْعَةِ﴾ بكونِها (مباركةً):

وُصِفَتِ البُقْعةُ في قولِهِ تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ بكونِها مباركةً؛ لأنَّهُ حصلَ فيها ابتداءُ رسالةِ موسى ﷺ، وتكليمُ اللهِ تعالى إيّاهُ[5]، وفي ذلكَ خيرٌ عظيمٌ يفيضُ على المكانِ والزّمانِ.

البركة حاصلة بكونها موطنَ رسالةِ موسى ﷺ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 112.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 177.
(3) ابن التّمجيد، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 507.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 177، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 301.
(5) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 287، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 593.

دلالة إعراب قولِهِ: ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾:

بيان أنّ الجارّ والمجرور بدلُ اشتمالٍ

﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ - بدلُ اشتمالٍ مِنْ قولِهِ: ﴿مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ﴾ بإعادةِ الجارِّ؛ لأنَّ الشَّجرةَ كانَتْ نابتةً على الشّاطئِ[1]. وجوّزَ تعلُّقُهُ بـ ﴿ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ على أنَّ ابتداءَ بركتِها مِنَ الشَّجرةِ[2]. ورُدَّ بأنَّهُ خلافُ ما ثبتَ مِنْ أنَّ بركتَها لكونِها مَبْعَثَ الأنبياءِ عليهم السلام[3]. وجوِّزَ أنْ تكونَ ﴿مِنَ﴾ للتَّعليلِ، كما في قولِهِ ﷻ: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ﴾ [نوح: 25]، مُتعلِّقةً بـ ﴿ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾، أي: البُقْعةِ المباركةِ لأجلِ الشَّجرةِ[4]. ولا يخفَى بُعْدُهُ.

دلالةُ (أل) في لفظ ﴿ٱلشَّجَرَةِ﴾:

الشّجرة المذكورة مخصّصة، بدخولها في إطار هذا السّياق

تعريفُ ﴿ٱلشَّجَرَةِ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ تعريفُ الجنسِ، وعُدِلَ عن التَّنكيرِ؛ للإشارةِ إلى أنَّها شجرةٌ مقصودةٌ. وليسَ التَّعريفُ للعهدِ؛ لأنَّهُ لم يتقدَّمْ ذكرُ الشَّجرةِ[5].

معنى ﴿أَن﴾ في قولِهِ: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾:

الأداة التّفسيريّة مسهمة في البيان الفصيح

الظّاهرُ أنَّ ﴿أَن﴾ في قولِهِ جلَّ وتباركَ: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾ مُفسِّرةٌ[6] لقولِهِ: ﴿نُودِيَ﴾؛ لأنَّ فيهِ معنى القولِ دونَ حروفِهِ، أي: نوديَ بهذا الكلامِ. وجوِّزَ أنْ تكونَ مُخفَّفةً مِنَ الثَّقيلةِ، والأصلُ: بأنَّهُ، واسمُها ضميرُ الشَّأنِ، وجملةُ النِّداءِ مُفسِّرةٌ لهُ[7]. وفيهِ بُعْدٌ[8].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 408، والسّمين الحلبي، الدّر المصون: 8/ 670.
(2) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 72.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 508.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 282.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 113.
(6) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 287.
(7) الخفاجيّ، عناية القاضيّ: 7/ 72.
(8) السّمين، الدّر المصون: 8/ 670.

الغرضُ مِنَ النِّداءِ في قولِهِ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾:

جاء أسلوبُ النِّداءِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وجيءَ معَهُ بأداةِ نداءِ البعيدِ (يا)؛ لِما يُفيدُهُ هذا الأسلوبُ مِنْ إيقاظِ المُنادَى وتنبيهِهِ؛ ليتهيَّأَ لتلقّي ما يُتلَى عليهِ مِنَ الكلامِ، وفي ذلكَ ملاءمةٌ لمقامِ تكليفِ موسى عليه السلام وإرسالِهِ، فهو مقامٌ يستدعي منهُ كمالَ الحُضورِ.

التَّنبيهُ على أهمّيَّةِ الكلامِ الآتي بعدَ النِّداءِ

توجيهُ كسرِ همزةِ (إنَّ) في الآيةِ:

كسرُ همزةِ (إنَّ) في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، على إضمارِ القولِ، أو على تضمينِ النِّداءِ في ﴿نُودِيَ﴾: معناهُ[1].

نكتةُ توكيدِ قولِهِ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

تأكّدَ قولُهُ تعالى: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يحتقرُ نفسَهُ، لِأنْ يُؤهِّلَهُ اللهُ سبحانَهُ العظيمُ للكلامِ، لا سيَّما والأمرُ في أوَّلِهِ، فقالَ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[2]، فيكونُ في ذلكَ التَّأكيدِ دفعُ الشَّكِّ، في كونِ المُتكلِّمِ هو اللهَ تعالى.

دفعُ الشَّكِّ في كونِ المُتكلِّمِ هو اللهَ تعالى

سرُّ الإخبارِ بقولِهِ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾:

تقديمُ قولِهِ تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، بينَ يدَيْ ما سيُلقَى إلى موسى عليه السلام مِنَ الأمرِ؛ لإحداثِ رباطةِ جَأْشِهِ؛ ليعلمَ أنَّهُ خُلِعَتْ عليهِ النُّبوَّةُ، إذ أُلقيَ إليهِ الوَحْيُ، ويعلمَ أنَّهُ سيتعرَّضُ إلى أذىً وتألُّبٍ عليهِ، وذلكَ كنايةٌ عن كونِهِ سيصيرُ رسولًا، وأنَّ اللهَ يُؤيِّدُهُ وينصرُهُ على كلِّ قويٍّ، وليعلمَ أنَّ ما شاهدَ مِنَ النّارِ وما تلقّاهُ مِنَ الوَحْيِ وما سيشاهدُهُ مِنْ قَلْبِ العصا حيَّةً ليسَ بعجيبٍ في جانبِ حكمةِ اللهِ تعالى[3].

إحداثُ رباطةِ جَأْشِ لموسى عليه السلام، تهييئًا للمناجاةِ

(1) السّمين، الدّر المصون: 8/ 670.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 279.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 227، 20/ 112.

بلاغةُ القصرِ في: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾:

قصرُ الأُلوهيَّةِ عليهِ ﷻ، من كمال الاستحقاق

في تعريفِ طرفَي الإسنادِ، وتوسيطِ ضميرِ الفصلِ ﴿أَنَا﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قصرٌ للأُلوهيَّةِ عليهِ جلَّ شأنُهُ، ونفيٌ لأُلوهيَّةِ غيرِهِ سبحانَهُ[1]، والمعنى: إنّي أنا لا غيري المُستحِقُّ للأُلوهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ. وفي ذلكَ إشارةٌ إلى الرَّدِّ على فرعونَ اللَّعينِ الَّذي يزعمُ أنَّهُ ربٌّ.

غرضُ التَّعبيرِ بضميرِ الفصلِ ﴿أَنَا﴾:

إفادةُ التَّوكيدِ وتقويةُ الأسلوب، من فصيح البيان

جاء ضميرُ الفصلِ ﴿أَنَا﴾، في قولِ الباري تباركَ شأنُهُ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ لتأكيدِ المسندِ إليهِ، وتقويةِ القصرِ المستفادِ، مِنْ تعريفِ اسمِ (إنَّ) وخبرِها، وفي قوله هذا الّذي سمعه موسى عليه السلام، تأكيد من اللّه أنّه اللّه في وحدانيّة وجوده، وأنّه ربّ العالمين، في كمال ربوبيّة إنعامه، "وهذه أعلى منازل الأنبياء أن يسمعوا كلام اللّه من غير رسول مبلغ.. وصار بهذا الكلام من أصفياء اللّه من رسله لأنّه لا يصير رسولًا إلا بعد أمره بالرّسالة، والأمر بها إنّما كان بعد هذا الكلام"[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ الجلالةِ:

ملاءمةُ لفظِ الجلالةِ الشّريف، لمقامِ بيانِ التَّوحيدِ المنيف

عُبِّرَ بلفظِ الجلالةِ، في قولِ اللّهِ تقدَّسَتْ أسماؤُهُ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ لملاءمةِ هذا اللَّفظِ لمقامِ بيانِ وحدانيَّتِهِ جلَّ شأنُهُ؛ لما يدلُّ عليهِ مِنْ صفاتِ الكمالِ والجمالِ والجلالِ الَّتي بها تُستحَقُّ الأُلوهيَّةُ، والمعنى: إنّي أنا اللّهُ، أي: المُستجمِعُ للأسماءِ الحُسْنى، والصِّفاتِ العُلَى، البالغُ مِنَ العظَمةِ ما تَقْصُرُ عنهُ الأوهامُ والأفهامُ[3].

سرُّ إردافِ اسمِ الجلالةِ بوصفِ ﴿رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

في إردافِ اسمِ الجلالةِ بوصفِ ﴿رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ في قولِهِ

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 283.
(2) ينظر: الماورديّ، النكت والعيون: 4/ 251.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 133، 14/ 279.

تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، معنى التَّعليلِ للتَّنزيهِ عن شؤونِ المُحدَثاتِ؛ لأنَّهُ ربُّ العالمينَ، فلا يُشبِهُ شأنُهُ تعالى شؤونَهم[1]. وفيهِ أيضًا إشارةٌ إلى أنَّ سببَ تفرُّدِهِ ﷻ بالأُلوهيَّةِ واستحقاقِ العبادةِ كونُهُ ربًّا للعالمينَ، فلا يقومُ شأنُهم دونَ تدبيرِهِ وأمرِهِ، ورعايتِهِ جلَّ وعزَّ.

التّعليلُ لتنزيهِ الـلـه، عـن مشابهة شأنه شؤون المُحدَثاتِ

بيان التّشابه اللّفظيّ بين هذه الآية، وآيتي طه والنّمل:

تشابهَ قولُهُ ﷻ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، معَ قولِهِ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه: 12]، وقولِهِ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩﴾ [النّمل: 9]. وهذهِ الجملُ وإن اختلفَتْ لفظًا فهي متطابقةٌ في المقصودِ[2]، وهو إثباتُ التَّوحيدِ[3]. وقيلَ: حُكيَ في كلِّ سورةٍ بعضُ ما اشتملَ عليهِ ذلكَ النِّداءُ[4]. ومِنْ وجوهِ الاختلافِ أيضًا: قولُهُ هنا: ﴿رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وقولُهُ في آيةِ النَّملِ: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩﴾ [النمل: 9]، وهذا يقتضي أنَّ الأوصافَ الثَّلاثةَ قيلَتْ لهُ حينئذٍ[5].

اخـتـلاف المباني لا يـمـنـع مـن تضافر المعاني، لإبراز كمال الله ونعمائه

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإتيانُ والمجيءُ:

الفرّق بينَ المجيءِ والإتيانِ مِنْ وجوهٍ:

أحدُها: الإتيانُ مجيءٌ بسهولةٍ، ومنهُ قيلَ للسَّيلِ المارِّ على وجهِهِ: أتيٌّ، وأتاويٌّ[6]، والمجيءُ أعمُّ[7]. **والثّاني:** الإتيانُ قد يقالُ باعتبارِ القصدِ وإنْ لم يكنْ منهُ الحصولُ، والمجيءُ يقالُ اعتبارًا

المـجـيءُ أقـوى في الـدَّلالـةِ مِـنَ الإتيانِ، وبينَهما عُمومٌ وخُصوصٌ مِنْ وجهٍ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 227.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 177.
(3) ابن التّمجيد، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 507.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 302.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 112.
(6) الرّاغب، المفردات: (أتي).
(7) الرّاغب، المفردات: (جاء).

بالحصولِ[1]، فتكونُ دلالةُ (جاءَ) على المجيءِ أقوى مِنْ دلالةِ (أتَى)[2]، وعلى هذا يكونُ الإتيانُ أعمَّ مِنَ المجيءِ مِنْ هذهِ النّاحيةِ.

والثّالثُ: ذكرَ اللّهُ (جاءَ) في موضعِ الأعيانِ في الماضي، و(أتَى) في موضعِ المعاني والأزمانِ، ومن ذلكَ: قولُهُ تعالى: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: 72]؛ لأنَّ الصّواعَ عينٌ، وقولُهُ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ﴾ [البقرة: 89]؛ لأنَّهُ عينٌ، وقولُهُ: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: 23]؛ لأنَّها عينٌ. وأمّا قولُهُ تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: 34] فلأنَّ الأجلَ كالمُشاهَدِ، ولهذا يقالُ: حَضَرَهُ الموتُ.

وقالَ تعالى: ﴿قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الحجر: 63]، أي: بالعذابِ؛ لأنَّهُ مرئيٌّ يشاهدونَهُ، وقالَ: ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الحجر: 64]، حيثُ لم يكنِ الحقُّ مرئيًّا.

فإنْ قيلَ: قد قالَ تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: 24]، وقالَ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ [هود: 58]، فجعلَ الأمرَ آتيًا وجائيًا – فالجوابُ: أنَّ هذا يُؤَيِّدُ ما ذُكِرَ؛ فإنَّهم لمّا كانوا ممَّنْ يَرَى الأشياءَ قالَ: ﴿جَآءَ﴾ [هود: 58]، أي: عيانًا، ولمّا كانَ الزَّرعُ لا يُبصِرُ ولا يَرَى قالَ: ﴿أَتَىٰهَا﴾[3].

(1) الرّاغب، المفردات: (جاء).
(2) زيدان، الفروق اللّغويّة في القرآن الكريم، ص: 50.
(3) الزّركشيّ، البرهان: 4/ 81.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»